وقصة الحكم في لبنان بعد الاستقلال هي في ملخصها صراع علني وخفي حول كيفية استعمال صلاحيات الرئاسة الاولى مع المحافظة على ميزان الطائفية والعائلية الاقطاعية ، والاحتكارية ومايتفرع منها من تداخلات اقليمية محلية وخارجية . يضاف الى ذلك كله ان الحكم فن ، والسياسة فن الممكن ، وان « الاسلوب هو الشخص » كما يقول المثل الفرنسي اي ان الشخصية وخصوصا في الحكم وفي الادب والفن لا تظهر الا من خلال الاسلوب الذي تستخدمه للوصول الى غاياتها . فالشخصية القوية الحادة القاطعة كالسيف تستعمل اسلوبا يختلف عن الشخصية الناعمة المرنة الزئبقية التي تحافظ على « شعرة معاوية » بينها وبين الاخرين . واذا ما علمنا ان الشخصيات تختلف باختلاف الامزجة والطباع والتربية والثقافة ، فالتصادم فيمابينها وخصوصا في قيادة عربة الحكم في بلد كلبنان ، لا بد واقع لا محالة .

تنازع السلطة وتنافر الشخصيات

ولقد ظهر تصادم الشخصيات اول ما ظهر في عهد الاستقلال بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح . ولم يسفر عن وجهه الا بعد تجديد الرئاسة الاولى لمدة ست سنوات . فالسنوات الاولى « للميثاق الوطني » غير المكتوب مرت سراعا بغير احتكاك حاد لانشغال الرجلين بالامور الخارجية وتحقيق الجلاء وتسلم الصلاحيات من السلطة المنتدبة . وكان هناك شبه اتفاق على اقتسام النفوذ . ولم يكن النفوذ حينذاك الا توزيع الوظائف ومنح رخص الاستيراد وتلزيم المشاريع العمرانية وما شابه . ولم تكن القضايا الاجتماعية والاقتصادية والتخطيط الانمائي ومعضلات الشباب وازمة البطالة قد بدأت تطرق ابواب البيت اللبناني . ولكن بعد الاجلاء والتجديد ، وجد الرئيسان الصديقان نفسيهما في موقف مختلف : فالشيخ بشارة قد كسب معركة التجديد بواسطة مجلس ٢٥ ايار (مايو) ١٩٤٧ الذي انتخبته وزارة رياض الصلح ، ووجد هذا الاخير نفسه في مواجهة شبه مكشوفة مع « السلطان سليم » شقيق الرئيس الخوري والخواجه هنري فرعون ، والنسيب ميشال شيحا ، عدا اهتزاز قاعدته الاسلامية ، وبالتالي كرسي رئاسة الوزارة التي كان يجلس عليها .

ماذا حدث يومها؟ يقول الشيخ بشارة الخوري في مذكراته ما يلي : (٥) : «ومن دواهي الدهر في تلك الفترة ان ظهر « رياضيون » اكثر من رياض ، و « خوريون» اكثر من الخوري ، وهؤلاء اولئك هم الآفة » . ويتابع الشيخ بشارة قائلا : «اقتربت الانتخابات ودخل الناس مرحلة التحضير لها ، وكان قد مضى على رياض الصلح اربع سنوات وهو رئيس للوزارات المتتابعة ، فاتفقت معه ان يتخلى عن الرئاسة برضاه وان يفسح المجال لتأليف حكومة ادارية بحت تؤمن الحياد في الاستفتاء المقبل . وهذا الحديث بيننا يرجع الى ما يزيد على السنة ، وقد حرصت فيه على ان يطمئن صديقي رياض الى المستقبل والي حبي له . ناهيك بخدماته الوطنية ، ولباقته ، وسداد رأيه ومواهبه الجمة ، ولكن هناك عوامل سيكولوجية وسياسية تضطرنا الظروف الى مراعاتها .